حسين صالح حماده:

حجة وقُدوة

كلمة رائـد شـرف الديـن

بمناسبة حفل تأبين الأديب المربي العم حسين صالح حماده

٢٤ آب ٢٠١٤ | راشكيدا - لبنان

باسمه تعالى

الحمد لأهله والصلاة على أهلها،

أخرج من عمق الأسى
أحاول
والخطو قصير مداه
فالعمعوم – ما أُحيلاه له لقبا – عميم الصفات
وفي فقده شديد الوحشة
فرفقته رقيقة الخطرات
عابقة الأنس والمحبة
حنونة الحدب
وكلُ ما في الذكرى حميم

***

عمعوم،
مملكتك لم تك من هذا العالم
فأنت عشت دنيانا وتلك في البال
كنت بيننا، بما شئت أنت.. لا بما شاءت الأقدار

عشتَها كما أردت: عطاءً وتسامحاً وخيراً
وجودك بيننا تمتمات صلاة
قلبك المحراب
فكرك التسبيح
حلّك وترحالك سعي وطواف
و ما تركت حياتنا عزوفَ راهب ولا هجر متصوّف
أعطيتها حقها: حركةً، إنتاجاً، وعملاً

***

تركت وذكراك في الثلاث الباقيات بعد الرحيل:
ولداً صالحاً، بل خمسة صالحين[1]
والإناء، مذ كان، بما فيه ينضح،
وكتاب ينتفع به
وكان كتبا مطبوعة
وأبحاثاً مخطوطة
وفيها غزارة إنتاج وعمق بحث
وصدقةً جارية
وها قاعة الزهراء (ع) إحداها
ران على ذلك الآلاف المؤلفة من تلامذتك على نصف قرن
نهلوا من معين علمك وثقافتك وأدبك الجم
وهل أصفى من العلم جرياناً ومن إنفاقه زكاة؟

***

في الذكرى حكايات
حكايات عمر
بل حكايات عمري
كل عمري
فله فيها، من أولها، لحظات من زمان
تلونها كل الحكايا
فمن الزقاق، أمام بيته في صور، كنا نتطافل
وفي حاكورة عمتو أم هاشم المجاورة، تحت ناظريه، كنا بما كان لزمان طفولتنا:

التؤوسة، وسبع حجارة، وعالي واطي،
وبالون شاسور، وأحياناً الحبلة والإكس[2] مع الصبايا!

[1] د. لبنى، د. لينا، د. محمد، الصيدلاني رنا، الأستاذة عبير

وعلى الكثبان الرملية الكثيرة، التي استبدلت بغابات الإسمنت، على شواطئ صور اللامتناهية كانت ملاعبنا
لنتفيأ لاحقاً بعطف العمة الرؤوف الرؤوم، أو كما كان يحلو له أن يناديها العمعوم "رئيف"
نتوق إليها وهي تحدثنا معتدَّة معتزَّة عن الجد والجد[٣]
تنفخ فينا المبادئ وحكايا الفَخار بِسير الكبار علها تكون لنا منائر تهدي للدرب وتشكل لنا نهجا" ومسلكاً.
... ثم ننعم ببيسارتها[٤] وقطايفها[٥] التي لا تضاهى

***

وكانت لنا معه، حلتا الشتاء والصيف
لتنتقل ملاعبنا إلى بيدر راشكيدا
حيث قالة القمح مخبانا
والشاعوب والدرّاسة خصمانا
فهي تحرمنا من التلطّي عند الغميضة[٦]

وكان لنا في راشكيدا، التي كانت نصف الكون الآخر، ملاعب ممتدّة على مساحتها:
المقصلة الشامية
الدقّار،
العربة،
الشطيّح،
والتينات،
وصولاً للطاروع ونهر الجوز[٧]
ولا يزال نداء فاطمة الفرن لولدها على "الجبل اللي بعيد[٨]"
"يـــا اسماعيـــن" يرن في أذنيَّ
مختلطا بعبق التبغ أشكه بالميبر[٩] (يشكّونه من بعدي مصححين)
مروراً بالمنشر وصولاً لصندوق الرزم

***

عمعوم،
وأنا أخطو في أسبوعي الأول نحو العام الثالث والثلاثين
في حياتي مع اللونا، قرة العين وريحانة العمر،

---

[٢] ألعاب كانت شائعة في ذلك الزمان
[٣] المقدس الامام عبدالحسين شرف الدين والسيد محمد علي شرف الدين.
[٤] البيسارة: طعام شعبي مشهور في الجنوب اللبناني وفلسطين يحتوي الملخوية والبصل والثوم بشكل أساسي.
[٥] القطايف: من الحلويات المشهورة في العالم العربي تصنع من العجين والجوز أو الجبن أو القشطة – شائعة في شهر رمضان.
[٦] من لعب الصغار
[٧] مناطق راشكيدية
[٨] من مطلع أغنية لفيروز
[٩] الإبرة الكبيرة تستعمل لشك التبغ

طالما أحسست منك بالوالدية
وإذ أدركت عمقها تنبهت إلى ما يجيب عن تساؤل عندي
في أنك لبّيت الطلب في أن أكون لك صهراً، مع أني، ولين العيش والعمر،
لم تطأ رجلاي بعد ملامح الدرب إلى الحياة...
ولست الهين المتسامح في هذا، مهما كان ولأي كان!
من هنا تأكدت الوالدية التي طالما احتويتني بها
وأني، مذ كنت، ولينا، وقعنا من قلبك موقعاً واحداً
تفرغ لنا عواطف تستنزل من حبك لله حبا لكل الناس

***

أيها الأحبة،
عرفتهُ كما عرفتموه:

الوديع	الصلب
اللطيف	الحازم
المقدام	المترفع
النبيل	المتواضع
العريق	البسيط
الفيلسوف	المربي
الزاهد	العامل
التقي	الراجي
العادل	الرحيم
المثال	المتعظ
الصامت	البليغ
المؤمن	المحاور
المحترَم	المحترِم
الراضي	المرضي
الشمالي	الجنوبي
المقاصدي	الجعفري
الأزهري	الحوزري

***

لم يلهج بالقرآن، الذي حفظه عن ظهر قلب، بلسانه فقط
ولم يفسرّه لغة وبيانا فحسب
بل كان مصداقاً له مقتدياً برسول الله (ص)
حين خاطبه عز وجل قائلاً: "وإنك لعلى خُلُقٍ عظيم"[١٠]

[١٠] سورة العلم

فهنيئاً لنا بك يا عمعوم:

في حياتك لنا حجة

وفي غيابك عنا قدوة

***

سلامُنا إلى من اتحدتَّ بها من جديد

وقد توحدت منك نفساً

واستبنتْ وداً ورحمة

ولا نزال نحس بكبير فقدها ومرارة فراقها

لك ولها منا سلاماً وحباً وعرفاناً ودعاء.

***